الجيل الثالث من العبدويين

القرضاوي والديمقراطية المهبهبة في بئر جهنم

أسس الحكم الشوري الموسع في الإسلام

(الحلقة الثامنة)

تقديم

من المسلم به في أي حقل معرفي مُعاصر، أن يقوم المنظر باستعراض النظريات السائدة في حقله، منتقداً لقصورها التفسيري أو فشلها التطبيقي على الأرض، ومنوها بما تفوقت فيه، بغرض ضرب عصفورين بحجر واحد:

أ) **العصفور الأول:** إشعار الأقران في مجاله، خصوصاً، إن كانت هذه أول مقالة له في الموضوع، بأنه من الأبناء البررة للحقل، وليس دخيلاً عليه، أو هاويا متطفلاً، أو مدعيا متعالماً،

ب) **العصفور الثاني:** التوطئة بهذه المراجعة الشاملة للحقل لنظريته الجديدة، والحجاج لها بأدلة منطقية، أو ميدانية، بكونها تتفوق على ما سبقها من نظريات، وبكونها تضيف جديداً قصرت كل النظريات السابقة عن تحقيقه، وبأنها تتجاوز كل النقائص، اللاتي ظلت تعاني منها تلك النظريات، سواء من جهة التفسير، أو من جهة التنزيل على أرض الواقع.

قلت:

أول ما سيلفت انتباه **المنظر للشورى**، إن هو رام القيام بمثل هذه الطقسية الاستعراضية المعتادة، أن المنشور في **التنظير للشورى**، يعاني من آفة قاتلة تغني المنظر الجديد من تجشم عناء القيام بمثل هذا الاستعراض النقدي، اللهم كتمرين في العبث و**اللا- معقول الديني**، وذلك لسببين وجيهين:

- **السبب الأول**: افتقاد الحقل **للأسس التنظيرية** بالمعنى المتعارف عليه في باقي العلوم،

- **السبب الثاني**: أن كافة من تجشموا **الكتابة** في الحقل، أو حاولوا الإدلاء بدلوهم فيه عانوا بدرجة أو أخرى، من عدة مثبطات،

حال ما نجد في كتابات:

1) **خريجي المعاهد التقليدية**: واغلب هؤلاء تسطيحيون أحاديو البعد، يعيشون تكلسهم وقوقعتهم خارج عصرهم، ولا قدرة لهم على التنظير، أو **الاجتهاد التنزيلي**، لضعف الطالب والمطلوب فيهم، ويندرج ضمن هؤلاء:

2) **المؤسطرون العنقائيون الشيعة**: أصحاب نظرية **ولاية الفقيه!** ، أي: الفقيه **النائبة!!!** عن **العنقاء!!!!**. وهي خاصية **قوقعية حوزية إيرانية** تعيش دورتها الشرنقية، على ما ألفت هذه الفرقة واعتادت، لقرون، بمعزل عن التاريخ والمنطق.

3) **السياسيون المخضرمون**، أو من يُطلق عليهم تجاوزاً: **الحركيين**، وهؤلاء يغلب عليهم الاشتغال بالسياسة بغية الوصول إلى الحكم بأي ثمن، من دون تحصين عقدي وعلمي متينين، فيقعون بسهولة في شراك الغوغائية المشاغبة، على ما هو مألوف في سائر الأحزاب الوصولية، أياً كان منطلقها العقدي، ولا يحصدون سوى الفشل في آخر المطاف.

ويتميز هؤلاء:

أ) بقلة الخبرة بالنصوص {**قرآنية** و**حديثية**}، وكيفية دراستها والتعامل معها، ثم تنزيلها على الواقع المعاصر،

ب) ضمور الملكة النقدية عندهم جميعاً أثناء الاستشهاد بالنصوص،

ت) عدم استحضار خصوصيات البيئات الاجتماعية ذوات الصلة بموضوعات الدراسة، وإخضاعها للتحليل، والنقد التفكيك،

ث) الجهل المطلق بالنظريات الموازية لدى **المخالفين من غير المسلمين**، وهو خطأ قاتل، بالنسبة لمنظر يشتغل تحت مظلة: **المنظور الإرشادي العام** ل **الإسلام**، الذي يتميز بالكونية ومُخاطبة كل البشر.

ج) بضاعتهم في **الحديث النبوي الشريف** ومنهجية التعامل مع الأخبار، عادة ما تكون إما **منعدمة**، أو **مزجاه**.

وهو ما لا يسعفهم في انتقاء الأخبار للاستشهاد أو الاحتجاج بها، حال ما عاينا بذهول من مقاربة الشيخ:

محمد الغزالي السقا رحمه الله، الذي، تأسيا بالشيخ **محمد عبده** (ت: 1905 م)

، زعيمه ورائده في ذلك {أنظر: "العبدوية والتحضين الاستشراقي للفيروسات الثقافية: طه حسين نموذجا" والحلقة 12 من"التأويل بين الشطح اللاهوتي والتخرص الفلسفي :

التأويل العلمي على محك التوقُّع والتفسير في العصر الحديث، "أبابيل الشيخ محمد عبده"

، يلقي بكل الأخبار عرض الحائط، إلا ما وافق منها هواه!، وهو تطرف عدمي غير منتج، وعند تلميذه:

يوسف القرضاوي، الذي على نقيض من عدمية شيخه، يتبنى حشو التكيس، حيث يلتقط ويكنس كل الأخبار، غثها وسمينها محتجاً بالكل!، على ما مثلنا له

بالملموس في شاكلة الأخبار المهبهبة في بئر جهنم، التي قمنا بتخريجها الموسع في الحلقات السابقة، بل نجده لا يتحرج ولا يتورع من وسم منهجه المهبهب هذا اللاقط لكل بهرج، بمنهج: "الوسطية"!، و"التيسير"!، بينما المنهج العلمي السليم، يتطلب غير هذين

المسلكين في التعامل مع الأخبار. {أنظر على موقعنا: "الهندسة الحديثية"}، أو ما دأب عليه:

أو ما دأب عليه:

4) حزب التحرير في الدعوة لقيام "الخلافة"، مستشهداً لدعواه بأخبار لا تصح في السياسة، أو ما دأب عليه:

5) **بعض المسلمين المخضرمين** الملمين بالنظريات السياسية الغربية، الذين يرومون الدفاع عن النظام السياسي الذي تطور في الإسلام، إلا أن قلة بضاعتهم في **الحديث النبوي الشريف**، تُفسد عليهم تخريجاتهم، أو ما دأبت عليه:

6) **الفرقة الهرطقية الأحمدية**، التي أسسها **الميرزا غلام أحمد القادياني** (1265 هـ/1935 م – 1325 هـ/ 1908 م) ، نسبة إلى بلدة قاديان، في إقليم البنجاب في الهند، عندما ادعى سنة 1306 هـ/ 1889 م، بدعم من الاستعمار الإنجليزي بهدف إبعاد المسلمين عن مقاومة الاستعمار البريطاني: أنه هو **المهدي المنتظر!!! والمسيح الموعود**[1]. {أنظر على موقعنا: "**المهدي اللا- منتظر لا عند اليهود، ولا عند الشيعة، ولا عند السنة، ولا عند البرتغال**" ، حيث كتب أحدهم وهو البريطاني **آدم هاني وولكر** (Adam Hani Walker) عن **الشورى**، أنظر هذا الرابط:

(*www.alislam.org/topics/khilafat/Shura.pdf*)،

أو ما دأب عليه:

---

[1] صدر قرار من **مجمع الفقه الإسلامي الدولي** المنبثق عن منظمة المؤتمر الإسلامي في دورة انعقاد مؤتمره الثاني بجدة من 10 – 16 ربيع الآخر 1406هـ، الموافق 22 – 28 كانون الأول " ديسمبر " 1985م, جاء فيه: بعد أن نظر في الاستفتاء المعروض عليه من مجلس الفقه الإسلامي في كيب تاون بجنوب إفريقيا بشأن الحكم في كل من القاديانية والفئة المتفرعة عنها التي تدعي اللاهورية، من حيث اعتبارهما في عداد المسلمين أو عدمه، وبشأن صلاحية غير المسلم للنظر في مثل هذه القضية، وفي ضوء ما قدم لأعضاء المجمع من أبحاث ومستندات في هذا الموضوع عن **ميرزا غلام احمد القادياني** الذي ظهر في الهند في القرن الماضي وإليه تنسب نحلة القاديانية واللاهورية،

وبعد التأمل فيما ذكر من معلومات عن هاتين النحلتين وبعد التأكد من أن **ميرزا غلام احمد القادياني** قد أدعى النبوة بأنه نبي مرسل يوحى إليه، وثبت عنه هذا في مؤلفاته التي ادعى أن بعضها وحي أنزل عليه، وظل طيلة حياته ينشر هذه الدعوة ويطلب إلى الناس في كتبه وأقواله الاعتقاد بنبوته ورسالته، كما ثبت عنه إنكار كثير مما علم من الدين بالضرورة كالجهاد، وبعد أن اطلع المجمع أيضا على ما صدر عن المجمع الفقهي بمكة المكرمة في الموضوع نفسه، قرر ما يلي:

- أولاً: أن ما ادعاه ميرزا غلام أحمد من النبوة والرسالة ونزول الوحي عليه إنكار صريح لما ثبت من الدين بالضرورة ثبوتاً قطعياً يقينياً من ختم الرسالة والنبوة بسيدنا محمد - ﷺ-، وأنه لا ينزل وحي على أحد بعده. وهذه الدعوى من ميرزا غلام أحمد تجعله وسائر من يوافقونه عليها **مرتدين خارجين عن الإسلام**. وأما اللاهورية فإنهم كالقاديانية في الحكم عليهم بالردة، بالرغم من وصفهم ميرزا غلام أحمد بأنه ظل وبروز لنبينا محمد - صلى الله عليه وسلم -. ثانياً: ليس لمحكمة غير إسلامية، أو قاض غير مسلم، أن يصدر الحكم بالإسلام أو الردة، ولا سيما فيما يخالف ما أجمعت عليه الأمة الإسلامية من خلال مجامعها وعلمائها، وذلك لأن الحكم بالإسلام أو الردة، لا يقبل إلا إذا صدر عن مسلم عالم بكل ما يتحقق به الدخول في الإسلام، أو الخروج منه بالردة، ومدرك لحقيقة الإسلام أو الكفر، ومحيط بما ثبت في الكتاب والسنة والإجماع: فحكم مثل هذه المحكمة باطل.

7) بعض **المسيسين المتصوفة**، حال ما نجد عند المغربي: **عبد السلام ياسين** 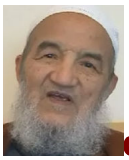 زعيم حركة: "**العدل والإحسان**" في كتاباته السياسية، حيث بني مشروعه السياسي كله على خبر باطل وهو: "**خلافة النبوة**" {أنظر على موقعنا: "**أحاديث في السياسة لا تصح: خلافة النبوة**" . وهو ما غبش على كل مؤلفاته، ومن بينها: "**الشورى والديمقراطية**" ، بناء على القاعدة الذهبية:

"أن ما أسس على باطل، لا يمكن أن يكون إلا باطلاً."

وللمرء أن يسأل:

كيف يستقيم التدثر ب **الخرقة الصوفية**، ولأصحابها دعوى عريضة باطلة، لا برهان لهم عليها، في **المعرفة اللدنية**، وبوجود خط ساخن مفتوح دوماً **بزعمهم!**، بينهم وبين **الملأ الأعلى**، حتى أن منهم من لم يخسأ وهو يطوح بأنه يقرأ مباشرة من اللوح المحفوظ!، أي: من **برنامج الوجود!**، ومبدأ **الشورى** في السياسة، القائم على **الاجتهاد** البشري المحض المعرض للخطأ والصواب؟

قلت:

وقد انضاف إلى هذا الخُلف المنهجي البين خُلفان عمليان آخران:

الخلف الأول: العمل بتراتبية: **الشيخ/المريد**، التي تجعل من **الشيخ / المريد** مجرد صندوق رنان يردد برتابة أغاني **شيخه**، لا يختلف في شيء عن **كلب غراموفون ماركوني**، الذي يتعرف على صوت سيده وهو يستمع إلى تسجيل له، في الوصلة الدعائية الشهيرة

في خمسينيات القرن العشرين.

فالشيخ يمثل هنا الأغنية الأصلية، ولا يمثل المريدون بنبحهم سوى رجع صدى لهذه الحقيقة.

ف **الشيخ**، الذي هو دوما على صواب، وفي عداد المعصومين من الخطأ، بحسب غسيل الدماغ المعمق الذي خضع له المريد لسنين بين يدي الشيخ **المربي!**، يعتبر الحر الوحيد في مثل هذا التنظيم، والمريدون أنسال مبلدة عقولهم وفاقدون لكل وعي أو إرادة.

قلت:

لذلك، يمتنع في المطلق أن تزدهر **الشورى** بين أنسال خضعت لمثل هذا الغسيل المتقدم للدماغ، لأن رأيهم سيختزل في آخر المطاف إلى رأي واحد ووحيد، وهو رأي **الشيخ! المربي!**

وتختزل في هذا النظام أراء ملايين الأتباع، إلى الآراء المحدودة والمعدودة على أصابع اليد، لأرباب طرقها فقط!

وما هذه بالشورى التي أمر الله المسلمين بها.

الخلف الثاني: عدم التورع من نشر **الهوس** و**الخرافة** بين المريدين، فاتحاً الباب شُرّعاً **لإبليس** كي يصطادهم مصدقاً عليهم ظنه، ماداموا قد تشبعوا بالخرافة حتى صارت لهم سجية، مع ضعف التحصين بالعقيدة السليمة، التى تمكنهم من التفريق بين ما هو **شرعي** وما هو **شيطاني**، على ما تشهد به: **الهلوسيات** التالية، كغيض من فيض، المنشورة، عل موقع الجماعة:

1) من: إبراهيم أ. / الدار البيضاء، الأحد جمادى الثانية 1424 هـ

رأيت في ما يرى النائم أن الإخوة المرابطين توجهوا إلى مكة المكرمة لحج بيت الله الحرام، وهناك التقينا بباقي إخواننا الحجاج، فصعد **الحبيب!!! المرشد!!! سيدي عبد السلام!!!! حفظه الله** إلى المنبر وبدأ يلقي خطبته، وأهل البلد ينظرون إلى هذا المشهد **بانبهار!!** و**تعجب!!**، وهم بعيدون عن الإخوان، وفي خطبته ذكر حفظه الله حديث **الخلافة!!!!!** {قلت (عمراني): وهو باطل، أنظر على موقعنا: **أحاديث في السياسة لا تصح**}، وعندما سمع أهل البلد هذا الحديث أخذوا يقتربون من الإخوة شيئا فشيئا حتى **أصبحوا منهم!!!!!!!!!!!!!**.

2) حسن ن. (بروكسيل)، 24 - رمضان 1424 هـ :

في صلاة التراويح شاهدت آيات قرآنية تكتب، واسم سيدنا **محمد** ﷺ يُكتب، لتتبدل الأرض فتفرش زهورا، وأنوارا و**مخلوقات نورانية تطير!!!**، و**اناسا أخرين!!!** يُصَلّون معنا، وتيجانا من نور على رؤوس المصلين، ورأيت **سيدي عبد السلام!!!! حفظه الله في القدس الشريف هو وامَلَك جبريل!!! عليه السلام!!!!!**.

3) علي ت .(القنيطرة) الاثنين 8 ذو القعدة 1425 هـ

-في مجلس الحديث أثناء الصلاة على رسول الله ﷺ، شاهدت سيدنا **محمد** ﷺ يعانق **سيدي عبد السلام!!!!** حفظه الله **ويقبله على جبينه!!!**، وقال له :

"لقد **قَبِّل يدي!!!!** سيدي **أحمد الرفاعي!!!** رحمه الله أمام نَفر من **الأولياء!!!!**، وإني أقبلك وأعانقك، و**سيشهد هذا الأمر الخلق جميعا!!!!!**". {أنظر على موقعنا: "خبر من عادى لي ولياً فقد آذنته بالحرب"،

قلت:

ما كان **إبليس** ليستعبط مثل هذه **البهاليل** المغرر بها، لو لم يشاركهم **اللعين** وجنوده السماع في مجالس الجماعة المُشلّة، والمخدرة للفكر وللتفكر، والغاسلة للأدمغة، ب **خرافات** من هذا القبيل، لينسج إبليس وينوع عليها في نفثه لهم في أحلامهم، حال خرافة إخراج **النبي ﷺ ليده من قبره عليه السلام!!!!!** ليسلم!!! على **أبي العباس أحمد بن علي بن أحمد بن يحيى، المعروف ب أحمد الرفاعي** البغدادي (512هـ / 1118م - 578هـ / 1182م) الذي عاصر الخليفة العباسي: **المستنجد بالله**، عندما حج سنة خمس وخمسين وخمسمائة (555 هـ)، بحسب ما خرف أتباع **الرفاعي** رفعاً لرأسمال شيخهم الرمزي! أمام أرباب الطرق الأخرى! والعصر عصر انحطاط وتواكل بامتياز.

ولن يستطيع عاقل أن يقنع مُنسلاً مغسول الدماغ تخرج من هذه المجالس بأن يذكره بأن:

أ) الصحابة، رضوان الله تعالى عنهم، اختلفوا ووصل بهم الأمر إلى أن اقتتلوا،
ب) وأن **فاطمة الزهراء** خاصمت **أبا بكر الصديق**، الخليفة يومها، بشأن **إرث فدك**، الذي كان قد منعه عنها لحديث سمعه عن النبي ﷺ يقول فيه:

نحن معاشر الأنبياء لا نورث، ما تركناه صدقة

وقد لحقت **فاطمة** بربها رضي الله عنها وهي واجدة من **أبي بكر** رضي الله عنه لذلك.

نعم، من بوسعه أن يفهمهم والعقول معطلة، والقرائح مبلدة، والفكر مغلول ومشلول، أن لو كان **الرسول**ﷺ يظهر عند الطلب، بحسب ما خرف هؤلاء الأجلاف في حق شيوخهم، بطرح سؤال وجيه عليهم:

ما منعه ﷺ :

أ) أن يظهر لأحد **الصحابة**، أو لجمعهم ويوضح لهم ما التبس عليهم ويحقن بذلك دماء **أصحابه ؟**، أو:

ب) أن يظهر ل**فاطمة** رضي الله عنها أو **لأبي بكر** رضي الله عنه، أو لكليهما معا، ويصلح ذات البين بين **فاطمة** و**الصديق** وهما من أقرب وأعز الناس إلى قلبه ﷺ؟

هذا ما يفعله غسيل الدماغ المتقدم بالعقول الفطرية من خلال تربية الشيخ مريديه!

وما مثل هذه العقول المعطلة، التي رُفع عنها القلم، بالتي تصلح للاستشارة أو التشاور في أي أمر كان؟

ثم لاحظ أن هذه الرؤيا الشيطانية الثلاث لا تخلو واحدة منها من وجود الشيخ في مركزها.

وهو تناذر لا يخطئك النبأ عن المصدر!

قلت:

وهو ما يجعل من **كتابات** كل هؤلاء الفرقاء، ولا أقول تنظيرهم: **شقشقات شهرزادية** هي أقرب إلى **عوالم التخريف، والأسطرة، والمثاليات** و**الطوباويات، المجنونة المسكن في**

الإسلام، من **عالم التنظير**، الذي هو **بناء عقلاني**، يشارك ذوو الاختصاص في تشييد بنيانيه لبنة لبنة، ويوطدون أركانه بالركائز النصية الصامدة الصلبة، ويرممون جدرانه بالخرسانة المنطقية المطلوبة كلما حصل فيها شرخ أو تشقق، بل لا يأنفون من **هدم الصرح** كله وإعادة بنائه من جديد على أسس أكثر متانة وصلابة، متى تيقنوا من **عدم صلاحيته للتفسير**.

ونخلص من كل هذا، أن **التنظير في الشورى** يعاني من النقائص التالية:

أ) **عدم اكتمال آليات التحليل عند الكتاب في الشورى**،

ب) **تهافت الأخبار التي يستشهدون بها**،

ت) اللجوء إلى **الأسطرة الفجة، على ما اعتاد، دون أن يرف لهم جفن!**،

الحوزيون الشيعية ، وبعض المخرفة المحسوبين على السنة ، وغيرهم ممن خرجوا من ربقة الإسلام ولم يقطعوا شعرة معاوية التي لا زالت تربطهم به، حال: **الأحمدية**.

لذلك أجدني مستغن هنا عن القيام بمثل هذه **السياحة النظرية**، لخلو الحقل أصلاً منها وأشرع رأساً في التنظير، آملاً أن تجد هذه المحاولة لدى من يرومون الإدلاء بدلوهم في الموضوع بعض القبول، بعد أن يكونوا قد عرضوها للنقد، معترضين أو مصوبين، بحسب المنهجية العلمية المتعارف عليها، إلى أن تصفو لنا في آخر المطاف، وبعد أخذ ورد، نظرية معتبرة في "**الشورى**" قابلة للتطبيق بنجاح على الأرض وتتبناها كل الأحزاب المحسوبة على الإسلام.

1) أنماط الحكم التي تطورت في الإسلام

جرى العرف على تصنيف أنواع الحكم التي تطورت في الإسلام إلى ثلاثة أنواع:

أ) **الحكم الرسولي**، وبدأ من استقرار **الرسول** ﷺ بالمدينة إلى وفاته سنة 11 هـ،

ب) **الحكم الشوري**، وابتدأ ببيعة **أبي بكر الصديق** في **سقيفة بني ساعدة**، بعد وفاة النبي مباشرة، وانتهى باستشهاد الخليفة الرابع **علي بن أبي طالب** على يد **ابن ملجم** سنة 40 هـ.

ت) **حكم الملك العضوض**، وابتدأ بحكم **معاوية بن أبي سفيان** بعد صلحه مع **الحسن بن علي بن أبي طالب** سنة 40 هـ وانتهى بسقوط **الخلافة العثمانية** سنة 1342 هـ/ 1924 هـ على يد المستعمرين الغربيين.

وقد انضاف إلى هذه الأنماط التاريخية التقليدية الثلاثة **نمط رابع**، ليس من صنع المسلمين، تولد من تفكيك الخلافة العثمانية، وهو:

ث) **حكم المؤلفة قلوبهم على الكفر**: وابتدأ بحكم **كمال أتاتورك** الذي أقامه المستعمرون الأوروبيون على أنقاض **الخلافة العثمانية** ولا تزال بعض

أنماطه مستمرة بشكل أو بآخر، اللهم مع بعض استثناءات في غالب البلاد الإسلامية وإلى يوم الناس هذا.

ويتميز هذا الحكم الأخير بخصلتين لا تنفكان عنه:

1) كون **الاستعمار** هو من يأتي بالحاكم وبجماعته وينصبه ويوطد أركانه ويحميه من مواطنيه، خدمة لمصالحه، وهو ما يجعله رهينة في أيدي المستعمرين يبتزونه دوما ويفسدون عليه سياسته، ويهددونه دوما بالخلع، أو الانقلاب، أو الاغتيال الشخصي، أن هو لم يلب مطالبهم، حال ما وقع أخيراً مع الرئيس **صدام حسين** ، حين لم يقبل بما عرضه عليه القاتل الاقتصادي: **جون بيركنز** (John Perkins) ، نيابة عن مستخدميه الرسميين الأمريكان، وقبلت به **المملكة العربية السعودية** و**دول الخليج** في **شراء الدين الأمريكي** باستمرار، على حساب المواطن العراقي، وذلك من خلال ربط سعر البترول ب **الدولار الأمريكي** بعد أن كان الرئيس **نيكسون** قد اضطر إلى فك ارتباط **الدولار** ب **الذهب** في صيف سنة 1971 تلافياً لهجوم الدائنين على الذهب الأمريكي بعد إفلاس الدولة. ولو كان **الرئيس صدام** قبل بعرض **بيركنز**، كما صرح بذلك الأخير في كتابه: "**اعترافات قاتل اقتصادي**" (*Confessions of an*

(*Economic Hit Man* 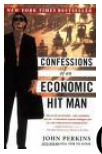

، لكان بقي في منصبه ولما اضطرت أمريكا للإطاحة به، وهو آخر خيار في ترسانة القتلة الاقتصاديين.

2) لمثل هذه النظم الحَبْلية التابعة جرأة كبيرة، لجهل القيمين عليها بدينهم واغترابهم المشين، على **تعطيل الكثير من حدود الله**، و**هدم بعض أركانه** حال: توقف الكثير منهم عن العمل ب**الزكاة**، وهي **ركن من أركان الإسلام**، وهو ما كان ولا يزال يستوجب من مواطني هذه الدول العمل على إرجاعها، وإلا دخلوا في حكم المرتدين، الذين يستحقون المحاربة، ما حارب **أبو بكر الصديق** ﷺ مانعيها عند توليته للخلافة. بل وتجرأت الكثير من هذه الدويلات الحَبْلية المغلوبة على أمرها، على محاربة الله ورسوله جهاراً وذلك حين سمحت بأن يفرض عليها **بنك مركزي** متأسس على **التعامل الربوي المحرم**، معطلين العمل ب **بيت المال**.

وهو ما يدرجهم قضعاً ضمن من يحاربون الله ورسوله.

قلت:

ظاهر من كل ما تقدم، أن بوسعنا إخضاع كل نمط من هذه **الأنماط الثلاثة** الأخيرة، التي تطورت عبر التاريخ، لظروف موضوعية خاصة بها، للتحليل التاريخي الموضوعي.

لكن، ما يلفت النظر، على ما سطرنا في مقالة لنا منشورة على موقعنا تحت عنوان:

"المقدمات النظرية لصياغة أنموذج منظوري إرشادي إسلامي عام في الفقه والعلوم: (1) صناعة الفقه: كيف نشأت جدلية النصوص الأولى"

صفحة 9، هو:

أن المسلمين الأول لم تنتجهم قوانين الطبيعة!، ولا أنهم من صنع التاريخ!، على ما اعتادت باقي الأمم في التداول الحضاري، وإنما خلقهم الوحي!!!.

وأعني بهذا الكلام، ليس خروج المسلمين الأول في العهد الرسالي من قبضة التاريخ، ما داموا قد صنعوا شطراً مُشرقاً ومشرفا منه، لا زلنا ننظر إليه بإكبار وإعجاب، ما سيفعل كل اللاحقين علينا وإلى يوم الصعق، وإنما شيئا آخر.

ذلك، أن على خلاف باقي أمم الأرض، ومن ضمنها أمة الإسلام ذاتها بعد التحاق رسول الإسلام ﷺ بربه، الذين لم يكن متاحاً لهم، لا التوقع بمآلاتهم ولا ما يمكن أن يحققوه في الوجود بأية درجة من اليقين، فجيل الرسالة كان، لتأطير الوحي له، وتوجيهه لهم، وجداله معهم على يقين تام بما سيتحقق على أيديهم في جيلهم وما سيصادفون من أمور مستقبلية غيبية، لا قدرة للبشر على التوقع بها، لورود النص بذلك، وتصديقهم له، وتصديق الواقع له، على ما نستشف من الآيات التالية، بغرض التمثيل فقط وليس الاستقصاء:

الروم: ١ – ٥

﴿ الٓمٓ ١ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ٢ فِيٓ أَدۡنَى ٱلۡأَرۡضِ وَهُم مِّنۢ بَعۡدِ غَلَبِهِمۡ سَيَغۡلِبُونَ ٣ فِي بِضۡعِ سِنِينَۗ لِلَّهِ ٱلۡأَمۡرُ مِن قَبۡلُ وَمِنۢ بَعۡدُۚ وَيَوۡمَئِذٖ يَفۡرَحُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٤ بِنَصۡرِ ٱللَّهِۚ يَنصُرُ مَن يَشَآءُۖ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ٥ ﴾

والفتح: ١٥ – ١٦

﴿ سَيَقُولُ ٱلۡمُخَلَّفُونَ إِذَا ٱنطَلَقۡتُمۡ إِلَىٰ مَغَانِمَ لِتَأۡخُذُوهَا ذَرُونَا نَتَّبِعۡكُمۡۖ يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُواْ كَلَٰمَ ٱللَّهِۚ قُل لَّن تَتَّبِعُونَا كَذَٰلِكُمۡ قَالَ ٱللَّهُ مِن قَبۡلُۖ فَسَيَقُولُونَ بَلۡ تَحۡسُدُونَنَاۚ بَلۡ كَانُواْ لَا يَفۡقَهُونَ إِلَّا قَلِيلٗا ١٥ قُل لِّلۡمُخَلَّفِينَ مِنَ ٱلۡأَعۡرَابِ سَتُدۡعَوۡنَ إِلَىٰ قَوۡمٍ أُوْلِي بَأۡسٖ شَدِيدٖ تُقَٰتِلُونَهُمۡ أَوۡ يُسۡلِمُونَۖ فَإِن تُطِيعُواْ يُؤۡتِكُمُ ٱللَّهُ أَجۡرًا حَسَنٗاۖ وَإِن تَتَوَلَّوۡاْ كَمَا تَوَلَّيۡتُم مِّن قَبۡلُ يُعَذِّبۡكُمۡ عَذَابًا أَلِيمٗا ١٦ ﴾

والفتح: ١٨ – ٢٣

﴿ ۞ لَّقَدۡ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ إِذۡ يُبَايِعُونَكَ تَحۡتَ ٱلشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمۡ فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيۡهِمۡ وَأَثَٰبَهُمۡ فَتۡحٗا قَرِيبٗا ١٨ وَمَغَانِمَ كَثِيرَةٗ يَأۡخُذُونَهَاۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمٗا ١٩ وَعَدَكُمُ ٱللَّهُ مَغَانِمَ كَثِيرَةٗ تَأۡخُذُونَهَا فَعَجَّلَ لَكُمۡ هَٰذِهِۦ وَكَفَّ أَيۡدِيَ ٱلنَّاسِ عَنكُمۡ وَلِتَكُونَ ءَايَةٗ لِّلۡمُؤۡمِنِينَ وَيَهۡدِيَكُمۡ صِرَٰطٗا مُّسۡتَقِيمٗا ٢٠ وَأُخۡرَىٰ لَمۡ تَقۡدِرُواْ عَلَيۡهَا قَدۡ أَحَاطَ ٱللَّهُ بِهَاۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٗا ٢١ وَلَوۡ قَٰتَلَكُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوَلَّوُاْ ٱلۡأَدۡبَٰرَ ثُمَّ لَا يَجِدُونَ وَلِيّٗا وَلَا نَصِيرٗا ٢٢ سُنَّةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي قَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلُۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبۡدِيلٗا ٢٣ ﴾

وآل عمران: ١١٠ – ١١٢

﴿ كُنتُمۡ خَيۡرَ أُمَّةٍ أُخۡرِجَتۡ لِلنَّاسِ تَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَتَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَتُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِۗ وَلَوۡ ءَامَنَ أَهۡلُ ٱلۡكِتَٰبِ لَكَانَ خَيۡرٗا لَّهُمۚ مِّنۡهُمُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ وَأَكۡثَرُهُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ ١١٠ لَن

يَضُرُّوكُمْ إِلَّآ أَذًى ۖ وَإِن يُقَٰتِلُوكُمْ يُوَلُّوكُمُ ٱلْأَدْبَارَ ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ ﴿١١١﴾ ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلذِّلَّةُ أَيْنَ مَا ثُقِفُوٓا۟ إِلَّا بِحَبْلٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَحَبْلٍ مِّنَ ٱلنَّاسِ وَبَآءُو بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْمَسْكَنَةُ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا۟ يَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَيَقْتُلُونَ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ ۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا۟ وَّكَانُوا۟ يَعْتَدُونَ ﴿١١٢﴾ ﴾

وغيرها من الآيات.

وواضح من فحوى هذه الآيات ونظيراتها أن: **المقاربة التاريخية الموضوعية الصرفة** في توصيف **مجتمع الصدر الأول**، و**النبي حي يرزق**، و**الوحي يتنزل عليه**، وهو ما سنصطلح على تسميته ب "**المجتمع الرسالي**"، ستكون لا محالة قاصرة كل القصور عن الإلمام والإحاطة بالواقع وتفسيره، دون الأخذ في الاعتبار ب **القرآن الكريم** وب **السنة النبوية الموثقة**، حال ما هو معاين من فشل وقصور كل المقاربات التي قام به **المستشرقون** وغيرهم ممن حاولوا تفسير هذه **الظاهرة** ب**المنهج الوضعي**، من خلال وقائع التاريخ وعلم الاجتماع فحسب، وهما المتاحان لأي منظر على أي حال، دون أخذ **الوحي المتنزل** في الاعتبار، كما فعل أحسنهم طريقة وإلى يوم الناس هذا: الإنجليزي: **إدوارد غيبون** (Edward Gibbon) (1737 م – 1794 م)

، من بين آخرين، وهو يؤرخ لسقوط الأمبراطورية الرومانية في كتابه الشهير: "**تاريخ اضمحلال وسقوط الأمبراطورية الرومانية**" *(The History of the Decline and Fall of the Roman Empire)* الذي ألفه بين سني (1776 – 1788م).

{أنظر على موقعنا: "المقدمات النظرية لصياغة أنموذج منظوري إرشادي إسلامي عام في الفقه والعلوم: (1) صناعة الفقه: كيف نشأت جدلية النصوص الأولى"

.

لكن، بمجرد أن انتقل **الرسول** ﷺ إلى ربه، وتوقف الوحي، رجع المسلمون مجدداً إلى مجرى **التاريخ العادي**، بهذا المعنى، وأصبحوا قابلين للوصف، والتفكيك، والتحليل، والتفسير

الوضعيين، أسوة بباقي الأمم، لجهلهم مثلهم، بما سيتفتق به برنامج الوجود، "**الكتاب**"، المُشَيِّء لهم وللوجود حولهم.

فالفرق هنا شاسع وبرزخي بين المجتمعين، حيث كان "**المجتمع الرسالي**" متصلاً باستمرار بالسماء ويطلع قِبلياً، أو بعديا، من خلال الوحي، ببعض ما سيتفتق، أو تفتق به **برنامج الوجود**، وهم يمثلون أدوارهم بوعي وبصيرة على خشبة مسرحه، متفاعلين مع الوحي ومتماهين معه، بينما غيبت مثل هذه المعطيات عن باقي الأمم المعاصرة لهم، وعن باقي أمم الإسلام اللاحقة عليهم، ومن بينها، هذا الجيل نفسه، الذي تطاول به العمر، بعد انتقال **الرسول** ﷺ إلى **ربه**، وعن التابعين، وتابعيهم،...وهلم جرا وإلى يوم الصعق.

ونستخلص من هذه المقدمة أن **جيل الصحابة نفسه** ما بعد انتقال **الرسول** ﷺ إلى **ربه**، وهو ما سنصطلح على تسميته ب "**المجتمع الراشدي**" لغلبة هذه التسمية عليه، **جيل تاريخي عادي**، بما له وما عليه، يخضع للتحليل والتفسير الموضوعيين، بمعزل عن أي تفسير متعالي.

1.1) الأصول النظرية المؤسسة للشورى

نصادف **أول نص** في **الشورى** في **القرآن الكريم** في:

1) الآية 159 من سورة **آل عمران**:

﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ ۖ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ ﴿١٥٩﴾ ﴾

وهذا النص موجه من سياقه إلى **الرسول** ﷺ ك **قائد عسكري بالدرجة الأولى** و**حاكم للمسلمين**.

1.1.1) الفهم اللغوي

جاء في"**لسان العرب**" (4: 26) بخصوص لفظة: " **الأمر**":

يقال: **ائْتَمَرْتُ** فلاناً في ذلك **الأمر** و**ائْتَمَرَ** القومُ **إذا تشاوروا**.

ومنه قوله: لا يَدَّري المَكْدُوبُ كَيْفَ **يَأْتَمِرْ** أي كيف **يَرْتَئِي رَأْياً ويشاور نفسه ويَعْقِدُ عليه**.

وقال **أبو عبيد** في قوله: **ويَعْدُو على امْرِءٍ يَأْتَمِرْ**، معناه: **الرجل يعمل الشيء بغير روية ولا تثبت ولا نظر في العاقبة فيندَم عليه**.

(وقال) **الجوهري**: و**ائْتَمَرَ الأمر**: أي **امتثله**.

قال **امرؤ القيس**: **ويعدو على امرءٍ ما يأتمر**، أي: **ما تأمره به نفسه فيرى أنه رشد فربما كان هلاكه في ذلك**.

ويقال: **ائْتَمَرُوا به**: **إذا هَمُّوا به وتشاوروا فيه**.

و**الائْتِمارُ**، و**الاسْتِئْمارُ**: **المشاوَرَةُ**.

وقيل: **المُؤْتَمِرُ**: الذي يَهُمُّ ب**أمْرٍ** يَفْعَلُه.

ويقال لكل من فعل فعلاً من **غير مشاورة**: **ائْتَمَرَ** كَأَنَّ نَفْسَه **أمرته** بشيءٍ **فأَتَمَرَ** أي أطاعها.

ومن **المُؤامَرَةِ**: **المشاورةُ**.

وجاء في: "**تاج العروس**" (1: 2630): جَمَّرَ القومُ على **الأمر** تَجْمِيراً : تَجَمَّعُوا عليه وانْضَمُّوا.

وجاء في: "**تاج العروس**" (1: 3029): الشَّمْرُ والتَّشْمِيرُ في **الأمرِ** : الجِدُّ فيه والاجتهادُ.

قلت:

لاحظ أن **الأمر** ومشتقاته هنا مرتبطة ارتباطاً وثيقاً لغوياً ب **المشورة** و**التشاور**، حتى أن قوله تعالى: ﴿ وَشَاوِرْهُمْ فِي ٱلْأَمْرِ ﴾ يختزل إلى **وشاورهم في المشورة**.

1.1.2) تفسير النصوص

قال **محمد بن جرير الطبري** في **تفسيره** (3: 494):

اختلف أهل التأويل في:

- **المعنى الذي من أجله** أمر **تعالى ذكره نبيه**ﷺ أن **يشاورهم**،

- و**ما المعنى الذي أمره** أن **يشاورهم فيه** ؟

ف **قال بعضهم**:

- أمر **الله** نبيهﷺ بقوله :﴿ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ ﴾ بمشاورة **أصحابه** في **مكايد الحرب** و**عند لقاء العدو** تطييبا منه بذلك أنفسهم وتالفا لهم على دينهم وليروا أنه يسمع منهم ويستعين بهم وإن كان الله تعالى قد أغناه - بتدبيره له أموره وسياسته إياه وتقويمه أسبابه – عنهم....

و**قال آخرون**:

- بل أمره بذلك في ذلك **ليبين له الرأي وأصوب الأمور في التدبير** لما عالم في المشورة تعالى ذكره من الفضل.

و**قال آخرون**:

- إنما أمره الله ب **مشاورة** أصحابه فيما أمره **بمشاورتهم فيه** مع إغنائه بتقويمه إياه وتدبيره أسبابه عن آرائهم **ليتبعه المؤمنون من بعده فيما حزبهم من أمر دينهم ويتسنوا بسنته في ذلك ويحتذوا المثال الذي رأوه يفعله في حياته من مشاورته في أموره** - مع المنزلة التي هو بها من **الله** - **أصحابه وأتباعه في الأمر ينزل بهم من أمر دينهم ودنياهم فيتشاوروا بينهم ثم يصدروا عما اجتمع عليه ملأهم لأن المؤمنين إذا تشاوروا في أمور دينهم متبعين الحق في ذلك لم يخلهم الله تعالى من لطفه وتوفيقه للصواب من الرأي والقول فيه.**

قالوا: وذلك نظير قوله تعالى الذي مدح به أهل الإيمان:

﴿ وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ ﴿٣٨﴾ ﴾

وأما قوله:

﴿فإذا عزمت فتوكل على الله ﴾

فإنه يعني:

فإذا صح عزمك بتثبيتنا إياك وتسديدنا لك فيما نابك وحزبك من أمر دينك ودنياك فامض لما أمرناك به على ما أمرناك به وافق ذلك آراء أصحابك وما أشاروا به عليك أو خالفها { وتوكل} فيما تأتي من أمورك وتدع وتحاول أو تزاول على ربك فثق به في كل ذلك وارض بقضائه في جميعه دون آراء سائر خلقه ومعونتهم ﴿إن الله يحب المتوكلين ﴾ وهم الراضون بقضائه والمستسلمون لحكمه فيهم وافق ذلك منهم هوى أو خالفه.

قلت:

وقال أبو السعود في تفسيره (2: 105):

﴿وشاورهم في الأمر﴾: أي في أمر الحرب إذ هو المعهود أو فيه وفي أمثاله مما تجرى فيه المشاورة عادة استظهارا بآرائهم وتطييبا لقلوبهم وتمهيدا لسنة المشاورة للأمة...

فإذا عزمت أي: عقيب المشاورة على شئ وأطمأنت به نفسك فتوكل على الله في إمضاء أمرك على ما هو أرشد لك وأصلح....

2)الآية 38 من سورة الشورى:

﴿ وَٱلَّذِينَ ٱسْتَجَابُوا۟ لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣٨﴾ ﴾

قال **محمد بن جرير الطبري** في **تفسيره** (11: 154):

﴿وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ ﴿٣٨﴾﴾ إذا حز بهم أمر **تشاوروا بينهم**، **ليس فيهم رسول الله** .

قلت:

واضح أن فرض **الشورى** على المسلمين تمت على مرحلتين:

أ) فرض الله لها على نبيه، - بالرغم من كونه كان في غنى عنها، مادام الوحي كان قائده -، بحسب ما ورد في سورة آل عمران.

و**توجب بالتالي فرضها على كل حاكم مسلم** لانتفاء المقايسة المطلقة بينه وبين **الرسول ﷺ المعصوم بالوحي**.

فهي تقوم مقام: **صمام الأمان**، لتلافي ضرر **أخطاء الحاكم**، التي لا مفر منها، لعوامل حظوظ النفس المتحكمة في تصرف كل البشر.

ب) فرض الله لها على الأمة قاطبة، بتنويهه بها كلازمة لا تنفك عنها، بحسب ما ورد في سورة **الشورى**.

2) أمثلة من تنزيل الشورى

2.1) تنزيل الشورى في المجتمع الرسالي

نجد خير مثال لتفعيل **مبدأ الشورى** بين **الحاكم**، وهو **الرسول**ﷺ، وبعض الصحابة في بعض غزواته ﷺ.

فقد استشار ﷺ أصحابه في **غزوة بدر** التي حصلت في شهر رمضان من السنة الأولى للهجرة.

قال الحافظ **ابن حبان: أبو حاتم، محمد بن حبان بن أحمد بن حبان التميمي الدارمي البستي** (ت: 354 هـ) في كتاب: "**السيرة**" (1: 157):

و لما بلغ **رسول الله**ﷺ**عرق الظبية** دون **بدر** **استشار الناس** فقال:

أشيروا علي أيها الناس !

فقام **أبو بكر** فقال و أحسن ثم قام **عمر** فقال مثل ذلك ثم قام **المقداد بن الأسود** فقال :

يا رسول الله ! أمض بنا لأمر الله فنحن معك و الله لا نقول لك مثل ما قالت بنو إسرائيل لموسى: ﴿اذهب أنت و ربك فقاتلا إنا هاهنا قاعدون﴾

و لكن اذهب أنت و ربك فقاتلا إنا معكما مقاتلون و الذي بعثك بالحق ! لو سرت بنا إلى برك الغماد لجالدنا معك من دونه حتى تنتهي إليه رسول الله !

فقال له رسول الله ﷺ خيرا و دعا له بخير.

ثم قال :

أشيروا علي أيها الناس !

و إنما يريد رسول الله ﷺالأنصار و ذلك أنهم كانوا عدد الناس.

- فقال **سعد بن معاذ** : كأنك يا **رسول الله** إنما تريدنا !

- قال : أجل !

فقال **سعد**: قد آمنا بك و صدقناك و شهدنا بما جئت به أنه الحق و أعطيناك مواثيقنا وعهودنا على السمع و الطاعة فامض بنا يا نبي الله لما أردت فنحن معك و الذي بعثك لو ! استعرضت هذا البحر و خضت بنا لخضناه معك ما بقي منا رجل و ما نكره أن تلقى بنا عدونا غدا إنا لصبر عند الحرب صدق عند اللقاء لعل الله يريك منا بعض ما تقر به عينك !

فسر بذلك رسول الله ﷺ ثم ركب و رجل من أصحابه قدام الجيش و مضى.....

قلت:

وقد استشار ﷺ أصحابه في **غزوة أحد** التي حصلت في شهر شوال من السنة الثالثة للهجرة.

قال الحافظ **ابن حبان البستي** في كتاب: "**السيرة**" (1: 218):

كره رسول الله صلى الله عليه و سلم الخروج إليهم {المشركين) فقال **عبد الله ابن أبي سلول**:

- يا رسول الله ﷺ! لا تخرج إليهم فو الله ! ما خرجنا إلى عدو قط إلا أصاب منا وما دخلها علينا إلا أصبناه .
- فقال رجال من المسلمين ممن كان فاتهم بدر: يا رسول الله ! اخرج بنا إلى أعداء الله لا يرون أنا جبنا عنهم أو ضعفنا.
- فقال **عبد الله بن أبي**: يا رسول الله ! أقم فإن أقاموا أقاموا بشر مجلس و إن دخلوا علينا قاتلهم الرجال في وجوههم و رماهم النساء و الصبيان بالحجارة من فوقهم.

فلم يزل برسول الله ﷺ الذين كان من أمرهم حب لقاء القوم حتى دخل رسول الله ﷺو سلم فلبس لأمته ثم خرج عليهم و قد ندم الناس و قالوا:

- استكرهنا رسول الله ﷺو لم يكن لنا ذلك ثم قالوا:
- يا رسول الله استكرهناك و لم يكن لنا ذلك إن شئت فاقعد ـ صلى الله عليك !
- فقال رسول الله ﷺ: ما ينبغي لنبي إذا لبس لأمته أن يضعها حتى يقاتل!

فخرج رسول الله صلى الله عليه و سلم شوال يوم السبت في ألف رجل و استخلف على المدينة ابن أم مكتوم و صلى المغرب بالشيخين في طرف المدينة .....

قلت:

وقد أمر رسول الله ﷺ في **غزوة أحد** فرقة **الرماة** التي تحمي ظهور المسلمين ألا يغادروا أماكنهم تحت أي ظرف.

لكن، ما أن لاحت في الأفق بوادر انتصار المسلمين في بداية المعركة حتى استهوتهم الغنيمة، فعصوا أمر الرسول ﷺ ونزلوا يجمعون ما تمكنوا منه من أسلاب المشركين.

عند هذه اللحظة بالذات، اكتشف المشركون الثغرة فاستغلوها أحسن استغلال لتنقلب الدائرة على المسلمين.

وقد خلد القرآن الكريم ما حصل للمسلمين في هذه الغزوة في سورة "**آل عمران**":

﴿ ثُمَّ أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّنۢ بَعْدِ ٱلْغَمِّ أَمَنَةً نُّعَاسًا يَغْشَىٰ طَآئِفَةً مِّنكُمْ ۖ وَطَآئِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ ظَنَّ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ۖ يَقُولُونَ هَل لَّنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ مِن شَىْءٍ ۗ قُلْ إِنَّ ٱلْأَمْرَ كُلَّهُۥ

لِلَّهِ يُخْفُونَ فِيٓ أَنفُسِهِم مَّا لَا يُبْدُونَ لَكَ يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ شَىْءٌ مَّا قُتِلْنَا هَٰهُنَا قُل لَّوْ كُنتُمْ فِى بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ ٱلَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقَتْلُ إِلَىٰ مَضَاجِعِهِمْ وَلِيَبْتَلِىَ ٱللَّهُ مَا فِى صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحِّصَ مَا فِى قُلُوبِكُمْ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿١٥٤﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَلَّوْا۟ مِنكُمْ يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ إِنَّمَا ٱسْتَزَلَّهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا۟ وَلَقَدْ عَفَا ٱللَّهُ عَنْهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿١٥٥﴾ ﴾

حيث يرد **الله جل جلاله**، الذي علم ما كان يخفي المنافقون في أنفسهم، بقوله للرسول ﷺ:

﴿ قُلْ إِنَّ ٱلْأَمْرَ كُلَّهُۥ لِلَّهِ ﴾ يصرفه كيف يشاء ويدبره كيف يريد، لا معقب لحكمه.

وكان المنافقون يقولون:

- لو كان الخروج إلى حرب من خرجنا لحربه من المشركين إلينا ما خرجنا إليهم ولا قتل منا أحد! في الموضع الذي قتلوا فيه ب **أحد**!.

وهو ما يفنده القرآن الكريم موضحاً أن خياراتهم ما كانت لتغني من قطمير في نفس الأمر، مادام قد قضي الأمر، وهو بيده سبحانه وتعالى.

قلت:

وقد نزل النبي ﷺ في حفر **الخندق** حول المدينة في **غزوة الأحزاب** سنة 5 هجرية، على ما أشار به الصحابي: **سلمان الفارسي** رضي الله عنه.

وهنا أيضاً ستتدخل **السماء**، عندما استمر حصار المشركين للمسلمين لأزيد من عشرين يوماً، ضاقت فيها الأرض بالمسلمين بما رحبت، بحسب ما جاء في **سورة الأحزاب**.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَآءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا ﴿٩﴾ إِذْ جَآءُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ ٱلْأَبْصَٰرُ وَبَلَغَتِ ٱلْقُلُوبُ ٱلْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِٱللَّهِ ٱلظُّنُونَا ﴿١٠﴾ هُنَالِكَ ٱبْتُلِىَ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا۟ زِلْزَالًا شَدِيدًا ﴿١١﴾ ﴾

قلت:

واضح من هذه الآيات، أن بمعزل عن خيارات **الشورى**، وما اختار المسلمون منها بحسب اجتهاداتهم ووافقهم الرسول ﷺ عليها، فما كانت هذه البدائل لتغير من **المعادلة الوجودية للمسلمين** من قطمير، مادام الله ﷻ قد تكفل في الأزل، وقد أخبرهم بذلك، بحفظ نبيه و**عصمته له من الناس**، بحسب ما ورد في الآية 67 من سورة المائدة:

﴿ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٦٧﴾ ﴾

ونصرة دينه إلى **أن يظهره على الدين كله**، بحسب ما ورد في الآية 33 من سورة التوبة:

﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ ﴿٣٣﴾ ﴾

2.2) التنزيل للشورى في المجتمع الراشدي

توفي **الرسول** ﷺ فجأة تاركاً المسلمين في حيرة من أمرهم.

وهو إشكال لم يلبث المسلمون، بعد أن أفاقوا من صدمة الفراق، ويا له من فراق!، وتابوا إلى رشدهم، أن وجدوا له الحل المقبول من خلال تفعيل **آلية الشورى**، حين اجتمع **الأنصار** في

سقيفة بني ساعدة وهم عاقدون العزم على تتويج سعد بن عبادة رضي الله عنه عليهم، فلحق بهم في عجالة، والظرف خطير، ثلاثة من المهاجرين فقط ، ليقر قرارهم، بعد تشاور وأخذ ورد، وشد وجذب، بحسب الأعراف التي نشئوا عليها (تأثير البيئة)، وإطار الإسلام الموجه (تأثير المنظورية الإسلامية)،على بيعة أبي بكر الصديق، كما نستشف من النص التالي:

قال البخاري في: "الصحيح"، في كتاب الحدود، الخبر رقم: 6328:

حدثنا عبد العزيز بن عبد الله {بن يحيى بن عمرو بن أويس الأويسي القرشي، أبو القاسم المدني (كبار تبع الأتباع) وهو ثقة} حدثني إبراهيم بن سعد {بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف الزهري القرشي، أبو إسحاق المدني (ت: 150 هـ) وهو ثقة ثبت}، عن صالح {بن كيسان، أبو محمد المدني (دون وسطى التابعين) وهو ثقة ثبت}، عن ابن شهاب { محمد بن مسلم بن عبيد الله بن شهاب القرشي الزهري، أبو بكر المدني (ت: 124 هـ) وهو ثقة حافظ}، عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود {الهذلي، أبو عبد الله المدني (ت: 98 هـ) وهو ثقة ثبت}، عن ابن عباس { عبد الله بن عباس بن عبد المطلب بن هاشم القرشي، أبو العباس الطائفي (ت: 68 هـ) وهو صحابي} ،}، قال:

ـ كنت أقرئ رجالا من المهاجرين منهم عبد الرحمن بن عوف فبينما أنا في منزله ب منى وهو عند عمر بن الخطاب في آخر حجة حجها إذ رجع إلي عبد الرحمن فقال:

ـ لو رأيت رجلا أتى أمير المؤمنين اليوم فقال يا أمير المؤمنين هل لك في فلان ؟

ـ يقول: لو قد مات عمر لقد بايعت فلانا فو الله ما كانت بيعة أبي بكر إلا فلتة فتمت.

فغضب عمر ثم قال:

ـ إني إن شاء الله لقائم العشية في الناس فمحذرهم هؤلاء الذين يريدون أن يغصبوهم أمورهم .

- قال عبد الرحمن: فقلت: يا أمير المؤمنين لا تفعل فإن الموسم يجمع رعاع الناس وغوغاءهم فإنهم هم الذين يغلبون على قربك حين تقوم في الناس وأنا أخشى أن تقوم فتقول مقالة يطيرها عنك كل مطير وأن لا يعوها وأن لا يضعوها على مواضعها فأمهل حتى تقدم المدينة فإنها دار الهجرة والسنة فتخلص بأهل الفقه وأشراف الناس فتقول ما قلت متمكنا فيعي أهل العلم مقالتك ويضعونها على مواضعها.

- فقال عمر: والله - إن شاء الله - لأقومن بذلك أول مقام أقومه بالمدينة.
- قال ابن عباس: فقدمنا المدينة في عقب ذي الحجة فلما كان يوم الجمعة عجلت الرواح حين زاغت الشمس حتى أجد سعيد بن زيد بن عمرو ابن نفيل {العدوي، أبو الأعور المدني (ت: 51 هـ) وهو صحابي} جالسا إلى ركن المنبر فجلست حوله تمس ركبتي ركبته فلم أنشب أن خرج عمر بن الخطاب فلما رأيته مقبلا قلت لسعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل ليقولن العشية مقالة لم يقلها منذ استخلف فأنكر علي وقال:
- ما عَسَيْتَ أن يقول ما لم يقل قبله ؟

فجلس عمر على المنبر فلما سكت المؤذنون قام فأثنى على الله بما هو أهله ثم قال:

- أما بعد، .....إنه بلغني قائل منكم يقول والله لو قد مات عمر بايعت فلانا فلا يغترن امرؤ أن يقول إنما كانت بيعة أبي بكر فلتة وتمت. ألا وإنها قد كانت كذلك ولكن الله وقى شرها وليس فيكم من تقطع الأعناق إليه مثل أبي بكر. من بايع رجلا من غير مشورة من المسلمين فلا يتابع هو ولا الذي تابعه تغرة ان يقتلا . وإنه قد كان من خبرنا حين توفى الله نبيهﷺ أن الأنصار خالفونا واجتمعوا بأسرهم في سقيفة بني ساعدة وخالف عنا علي {بن أبي طالب} والزبير {بن العوام} ومن معهما واجتمع المهاجرون إلى أبي بكر فقلت لأبي بكر يا أبا بكر انطلق بنا إلى إخواننا هؤلاء من الأنصار فانطلقنا نريدهم فلما دنونا منهم لقينا منهم رجلان صالحان فذكرا ما تمالأ عليه القوم فقالا:
- أين تريدون يا معشر المهاجرين ؟
- فقلنا نريد إخواننا هؤلاء من الأنصار
- فقالا : لا عليكم أن لا تقربوهم اقضوا أمركم.
- فقلت: والله لنأتينهم فانطلقنا حتى أتيناهم في سقيفة بني ساعدة فإذا رجل مزمل بين ظهرانيهم فقلت من هذا ؟

- فقالوا: هذا سعد بن عبادة
- فقلت: ما له ؟
- قالوا: يوعك.
- فلما جلسنا قليلا تشهد خطيبهم فأثنى على الله بما هو أهله ثم قال:
- أما بعد، فنحن أنصار الله وكتيبة الإسلام وأنتم معشر المهاجرين رهط وقد دفت دافة من قومكم فإذا هم يريدون أن يختزلونا من أصلنا وأن يحضنونا من الأمر.
- فلما سكت أردت أن أتكلم وكنت قد زورت مقالة أعجبتني أردت أن أقدمها بين يدي أبي بكر وكنت أداري منه بعض الحد فلما أردت أن أتكلم قال أبو بكر:
- على رسلك فكرهت أن أغضبه فتكلم أبو بكر فكان هو أحلم مني وأوقر والله ما ترك من كلمة أعجبتني في تزويري إلا قال في بديهته مثلها أو أفضل منها حتى سكت فقال:
- ما ذكرتم فيكم من خير فأنتم له أهل ولن يعرف هذا الأمر إلا لهذا الحي من قريش هم أوسط العرب نسبا ودارا وقد رضيت لكم أحد هذين الرجلين فبايعوا أيهما شئتم.
- فأخذ بيدي وبيد أبي عبيدة بن الجراح وهو جالس بيننا فلم أكره مما قال غيرها. كان والله أن أقدم فتضرب عنقي لا يقربني ذلك من إثم أحب إلي من أن أتأمر على قوم فيهم أبو بكر اللهم إلا أن تسول لي نفسي عند الموت شيئا لا أجده الآن.
- فقال قائل من الأنصار: أنا جذيلها المحكك وعذيقها المرجب، منا أمير و منكم أمير يا معشر قريش .
- فكثر اللغط وارتفعت الأصوات حتى فرقت من الاختلاف

فقلت:

- ابسط يدك يا أبا بكر .
- فبسط يده فبايعته وبايعه المهاجرون ثم بايعته الأنصار. ونزونا على سعد بن عبادة فقال قائل منهم:
- قتلتم سعد بن عبادة !

- فقلت: قتل الله سعد بن عبادة. قال عمر وإنا والله ما وجدنا فيما حضرنا من أمر أقوى من مبايعة أبي بكر خشينا إن فارقنا القوم ولم تكن بيعة أن يبايعوا رجلا منهم بعدنا فإما بايعناهم على ما لا نرضى وإما نخالفهم فيكون فساد.

فمن بايع رجلا على غير مشورة من المسلمين فلا يتابع هو ولا الذي بايعه:

تغرة أن يقتلا.

قلت:

ليلاحظ القارئ:

أ) أن هذا **التشاور**، الذي حصل على غير ميعاد، وعلى محدودية نطاق من شاركوا فيه، تمكن من حسم الأمور، بالرغم من خطورة الموقف، على ما جاء في وصف عمر ﷺ:

فكثر اللغط وارتفعت الأصوات حتى فرقت من الاختلاف

ب) لم يحتج أحد من الحضور من المهاجرين أو الأنصار بوجود خبر عن الرسول ﷺ تنقطع له الرقاب وتذعن، على ما سيخرف المؤسطرون اللاحقون! و الشيعة منهم خاصة، الذين جاءوا بعد الأحداث بدهر، وإنما كان كل حجاجهم بـ الأعراف المتوارثة السائدة عندهم، بحسب ما ورد في خطبة أبي بكر الصديق ﷺ:

ولن يعرف هذا الأمر إلا لهذا الحي من قريش هم أوسط العرب نسبا ودارا

وهو عرف ابن وقته وعصره وبيئته، سيتم تجاوزه بسرعة، بعد اتساع الفتوحات ودخول الكثير من الأمم في الإسلام أفواجاً.

ت) غلبة الوازع الديني لدى الأنصار على هوى النفس، بمبايعتهم لأبي بكر، بعد أن بايعه عمر، مع أنه كان في وسع الأنصار أن يبايعوا سعدا في المقابل

ويتأزم الموقف، لو تمكن **الهاجس الشعوبي القبلي الجاهلي** منهم، وغلّبوا حظوظ نفوسهم على مصلحة الإسلام،

ث) تم حسم موقف **الإمارة** بسرعة لوجود حزبين فقط بالعرف المعاصر: **حزب المهاجرين الأقلي** ولم يحضر منه سوى **ثلاثة أنفار**، اتخذوا قرار الالتحاق ب**السقيفة** من ذاتيتهم، ولم يحصلوا على توكيل من أحد، لانشغال الباقين ب**الرسول** ﷺ، و**حزب الأنصار الأغلبي**.

ج) كانت بيعة **أبي بكر** ﷺفعلاً **فلتة** كما وصفها **عمر**ﷺ، لتداركهما الأنصار في **السقيفة** قبل أن يحسموا أمرهم في بيعة **سعد بن عبادة**ﷺ،

ح) بيعة **الأنصار لأبي بكر** ﷺ وهم **أغلبية في عقر دارهم** وتخليهم عن بيعة زعيمهم وبلديهم: **سعد بن عبادة**ﷺ، تنم عن صدق إيمانهم الذي عرفوا به، وتقديرهم ل **الصديق**، صاحب **رسول الله** ﷺ، وثاني اثنين، إذ هما في الغار، وقريش على أثرهما.
وكان بإمكانهم ك **أنصار**، وأصحاب أغلبية، وفي عقر دارهم، فرض ما شاءوا.
وهو ما يضفي شرعية زائدة على بيعة **أبي بكر** ﷺ.

خ) قول **عمر** ﷺ: "فمن بايع رجلا على **غير مشورة من المسلمين** فلا يتابع هو ولا الذي بايعه "**تغرة أن يقتلا**"، يبين مدى أولوية **الشورى** وأهميتها في الإسلام، وإن اختلفت طرق اشتغال هذه **الشورى** المحدودة جداً، في كل مرة **ولم تتماسس بعد** وإلى يومنا هذا!

د) أن إلزام **الحاكم** ب **التشاور** مع من يدير أمورهم ضرورة فرضها أولا: كونهم معنيون بالنتائج، وثانياً: في انتفاء **العصمة بالوحي**، التي كانت **للرسول** ﷺ، في حقه.

ذ) لم ترد نصوص بتفصيل أو تحديد كيفية تفعيل **الشورى العامة بين المسلمين**، الواردة في الآية: ﴿وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ ﴿٣٨﴾﴾، حيث نكّر **الأمر**، ليدل على

العموم، أي: كل **أمر** مما يتطلب **مشورة**، ولا ل **نوعية الحكم**، وترك الباب مفتوحاً لتجتهد فيه قرائح المسلمين، بحسب ظرفهم، وزمانهم، وعصرهم، والأعراف السائدة فيهم، وهو عامل قوة في هذه **الشورى**، يحفز على التنظير والاجتهاد، كي لا تجمد الأمة على قوالب قديمة، لا تلبي الغرض منها ويكون العصر قد تجاوزها.

فأعراف **أوروبا** و**أمريكا** القرن الحادي والعشرين مثلاً، ستكون لها أولوية الاعتبار أثناء التطبيق، على كل الأعراف التاريخية والجغرافية المتجاوزة. وهو عكس ما هو حاصل، مع الأسف على أرض الواقع، لأن القيمين على الشأن الديني بهذه البلاد، عادة ما يكونون من المهاجرين المسلمين الجدد، الذين تنقصهم المعرفة الشرعية والمعرفة بالمجتمع الحاضن لهم.

ر) حكم **الشورى** يجمع **على خلاف الديمقراطيات** قديمها وحديثها، على ما سنتبين في الحلقات اللاحقة، بين:

- **الدين**: المشرع والمؤسس لها،
- و**الدنيا**: مجال تطبيقها.

فهي مؤسسة **دينية/دنيوية** في آن واحد وتختلف عن كل من:

- **حكم الإكليروس**، كما طبقته الكنيسة المسيحية في القرون الوسطى،
- و**العلمانية** (الدنيوية) المعاصرة.

ف **الشورى**، من هذا المنظور، **أمر ديني** أتى به الشرع، ك **صمام أمان حافظ لجماع الأمة**، بالتقليل من مخاطر **تفرد الحاكم بالرأي**، من خلال إلزامه بعدم الخروج عنها، **تغرة أن يُعزل**، أو **أن يُقتل**، خصوصاً وأن امتلاك السلطة، يعمي ويصم، على ما أثبت التجربة البشرية.

فهي مؤسسة ضرورية، ليس لتسيير وإدارة الخلاف فحسب بين المسلمين فيما انتابهم من **أمور**، بل مطية لاستحقاق لقب: "**الأمة المخرجة للناس**" إخراجاً الواردة في الآية 110 من سورة آل عمران:

﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ۗ وَلَوْ ءَامَنَ أَهْلُ الْكِتَٰبِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم ۚ مِّنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَٰسِقُونَ ﴿١١٠﴾ ﴾ ،

المستخلفة في الأرض، الموعود بها وعداً متجدداً في كل عصر، بحسب ما ورد في الآية 55من سورة **النور**:

﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِي ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْـًٔا وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٥٥﴾ ﴾

والآيتين 105 و106 من سورة **الأنبياء**:

﴿ وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي ٱلزَّبُورِ مِنۢ بَعْدِ ٱلذِّكْرِ أَنَّ ٱلْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ ٱلصَّٰلِحُونَ ﴿١٠٥﴾ إِنَّ فِي هَٰذَا لَبَلَٰغًا لِّقَوْمٍ عَٰبِدِينَ ﴿١٠٦﴾ ﴾

ف **الشورى** تؤسس ل **خلافة الأمة** على شؤونها **الدينية** و **الدنيوية** من خلال اعتبارين:

أ) **الأمة** باعتبارها: **الوعاء** و**المرجع**، لسبقها الكينوني في **الوجود**، حيث يمكنها أن تعيش عيشة طبيعية من دون **حاكم**،

ب) و**الحاكم** باعتباره **فرعا منها**، كأداة تسيير وتدبير تابع وخاضع لها في المطلق، والذي لا وجود له من دونها، حيث هو يفتقر دوما إليها، بينما هي مستغنية عنه، وليس العكس، كما يحلو لبعض المتجبرين النرجسيين تصوير أنفسهم!

ومما يستأنس به هنا، كون هذين الاعتبارين فطريان في كل التجمعات البشرية، حتى أن كثيراً من القبائل البدائية كرستهما بطريقة ما في حياتها وجربت محاسنهما، قبل أن يقوم مستبدون في غفلة من الزمن وأهله، بمصادرة الحكم لصالحهم في كل مرة.

ولا يخفى نظرياً أن المفوض له من طرف **الأمة** ك **حاكم** في هذا **النظام** **الشوري** مسئول مسؤولية مباشرة أمامها، توليه، وتراقبه، وتحاسبه حساباً عسيراً إن شط، وتعزله متى أخل بشروط توليته، وتولي، بعد تشاور في الأمر، غيره.

انتهى وتليه الحلقة التاسعة

المسلمات النظرية في نظرية الشورى